

عودة الحياة لقصر البارون إمبان



نواء د. سمير فرج



٧ مارس ٢٠١٩

كنت فى الخامسة عشرة من عمري، عندما وصلت إلى القاهرة، قادمة من مدينتى الحبيبة، بورسعيد، حاملاً فى يدي ملف الالتحاق بالكلية الحربية، وانطلقت بنا سيارة تاكسي، من وسط القاهرة، إلى طريق المطار، وصولاً إلى الكلية الحربية، فرأيت، لأول مرة، ذلك القصر الرائع، فى وسط صحراء مصر الجديدة، آنذاك، فسألت سائق التاكسي، ما هذا القصر الجميل؟ فأجابني: إنه قصر البارون إمبان.

الرجل الذى أنشأ حى مصر الجديدة، مستطرداً، حرام البلد تسيبه كدا. ومنذ ذلك اليوم، لم أمر، يوماً، فى ذلك الطريق، إلا ويستوقفنى هذا القصر الرائع، ويثيرنى طرازه المعماري الفريد، رغم ما آل إليه، خلال المائة عام الماضية، وتتردد على مسامعى كلمات سائق التاكسي، حرام البلد تسيبه كدا!! . مرت السنوات، وحان موعد افتتاح قصر العروبة، بعد تجديده، بحضور الرئيس الأسبق حسنى مبارك، والذى صار مقراً لإدارة الشؤون المعنوية، بالقوات المسلحة.

ولمن لا يعلم، فإن قصر العروبة، هو قصر باغوص باشا، نجل نوبار باشا، أول رئيس وزراء لمصر، من أصل أرمني، وباغوص باشا، هو واحد من ثلاثة شركاء، منهم البارون إمبان، والأمير حسين كامل، اجتمعوا على تأسيس حى مصر الجديدة. وكنت قد توليت ترميم هذا القصر، بالاستعانة بخبراء إيطاليين، رشحهم لى وزير الثقافة، آنذاك، فاروق حسنى، فعاد القصر إلى سابق عصره.

أثنى الرئيس الأسبق، مبارك، على تطوير قصر العروبة، وفاجأنى بقوله: براقو عليك يا سمير... ما تطور كمان قصر البارون، اللى عامل زى عشش الخفافيش، فبادره الوزير فاروق حسنى، والمهندس محمد إبراهيم سليمان، وزير الإسكان، حينها، باستعدادهما لتولى المهمة، فقال الوزير فاروق حسنى: ده شغل ثقافة، وإحنا تعاوننا مع سمير فرج لتطوير هذا القصر،

وأضاف المهندس سليمان، الذي كانت وزارته تشرف على أعمال توسعة طريق العروبة: يا فندم احنا ناخده، وشوف هنعمل فيه إيه. كان المشير طنطاوي، وزير الدفاع، حاضراً، بالطبع، لمراسم الافتتاح، وبجوار الرئيس الأسبق، عندما دار هذا الحوار، فنظرت إليه، وقرأت في نظراته، التي أحفظها عن ظهر قلب، ما معناه، ابتعد عن ذلك الصراع، وبالفعل، تراجعت خطوتين للوراء، تاركاً الحوار للسادة الوزراء، يحاول كل منهما إقناع الرئيس الأسبق، بإسناد المهمة لوزارته. وانتهى النقاش، دون أن يتخذ الرئيس قراره بمن سيتولى مسؤولية ترميم هذا القصر الرائع، الذي يقابل زوار القاهرة العظيمة عند وصولهم من المطار، ويودعهم قبل مغادرتهم. بعدها سألت نفسي، ماذا لو تم تكليفى من الرئيس بعملية الترميم؟ وكعادة أبناء القوات المسلحة، فى الاستعداد المسبق لأى مهمة قد يُكلفون بها، فقد شرعت فى وضع خطة لنفسى، بادئاً بالبحث فى تاريخ قصر البارون إيمان، والمعروف بالفرنسية، باسم Le Palais Hindou، لأنه مستوحى من العمارة الهندية، شيده المليونير البلجيكى إدوار إيمان، الذى منحه ملك فرنسا لقب بارون، تقديراً لجهوده فى إنشاء مترو باريس. جاء من الهند، فى نهاية القرن التاسع عشر، بعد فترة وجيزة من افتتاح قناة السويس، فعشق مصر، وقرر البقاء فيها حتى مماته، بل وأوصى أن يدفن بها.

اختار الرجل صحراء مصر الجديدة، ليبنى بها قصره، كنواة لتأسيس حى هليوبوليس، أو مدينة الشمس، وبدأ فى تصميم الحى على الطراز البلجيكى الكلاسيكى، وبنى فندقاً ضخماً، هو أحد قصور الرئاسة المصرية، حالياً، كما أنشأ مترو خاصاً، ليربط هليوبوليس بالعمران، وقد ظل يعمل حتى سنوات قريبة. أما قصره، الذى يعد من أضخم القصور المصرية، حالياً، فقد كان أسطورياً، صممه المعماري الفرنسى الكساندر مارسيل، بحيث لا تغيب عنه الشمس، التى يخترق شعاعها جميع حجراته، وردهاته، وزخرفه جورج لويس، واكتمل بناء القصر عام ١٩١١، من بدروم وطابقين، وبرج من ٤ طوابق. تضم غرفة البارون، لوحة شهيرة، أحضرها من معبد انكورواث، بكمبوديا، تجسد مراحل عصر العنب، حتى تحويله إلى نبيذ، ومتابعته فى رؤوس شاربيه، ويضم القصر تماثيل، وتحفا نادرة، مصنوعة من الذهب الخالص، والبلاتين، والبرونز.

توفى، البارون إيمان، فى يوليو ١٩٢٩، فتعرض القصر للإهمال الشديد، وتحولت حدائقه إلى خرائب، إلى أن اتخذت، الحكومة المصرية، قرارا بضمه إلى قطاع السياحة وهيئة الآثار، وفى الاحتفال بمئوية مصر الجديدة، أصبح القصر مصريا، بعدما تم تعويض ورثة البارون إيمان، بقطعة أرض بديلة، بالقاهرة، تصلح لأغراض الاستثمار. عدت للتفكير فى احتمالية تكليفي، من الرئيس الأسبق، بتطوير هذا القصر، فوجدت فكرى يدور حول أمرين؛

أولهما، إعادة القصر لحالته الأولى، التى كان عليها، دون إحداث تغييرات رئيسية، حتى عند إضافة خاصية تبريد المكان.

أما الأمر الثانى، فكان حول ضرورة أن يتم تطويره، بما يلائم استخداماته المستقبلية.

والواقع أن الاستخدامات المحتملة عديدة، فمثل هذا القصر، بشكله الفريد، وموقعه القريب من مطار القاهرة، يؤهله، مثلا، ليكون متحفا متخصصا؛ كمتحف للمومياوات والتحنيط، تعرض فيه أشهر المومياوات، وما توصلت إليه البشرية من أسرار التحنيط، او متحف للمجوهرات والمشغولات الذهبية، بدءا من مشغولات العصر الفرعوني، حتى مجوهرات أسرة محمد على، أو متحف للمشغولات الفضية للمصريين عبر التاريخ، أو متحف للأزياء المصرية والشخصيات المصرية، على غرار متحف الشمع، أو غيرها من المتاحف التى تحكى تخصص المصرى وتميزه فى أى مجال عبر تاريخنا الممتد.

أما فكرى الثانى، فكان فى تحويل القصر النادر إلى بوتيك أوتيل، تلك النوعية من الفنادق، المنتشرة فى كل أنحاء العالم، وتتكون من عدد محدود من الغرف، يصل سعر الليلة فيها لأرقام خيالية، ويتمتع نزلائها بخدمة متميزة، فى مكان فريد، وغير تقليدي، وهو، ما يتيح القصر تماما. تلك الفكرة تتطلب بعض الخدمات والاستعدادات، مثل إنشاء جراج تحت الأرض، فى المنطقة الخلفية للقصر، مع تنسيق المنطقة الأمامية بالمناظر الطبيعية، والأشجار والنباتات، بما يتماشى مع روح القصر. تذكرت كل ذلك، وأنا أمر اليوم من أمام قصر البارون، وشهدت أعمال الترميم والتطوير التى تجرى به، فشعرت بأنه أوشك، أخيراً، على العودة إلى الحياة، بعد إهمال زاد على مائة عام.